

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾

« صدق الله العظيم »

[سورة الحشر : الآية ٢٢]

الإيمان بالله تعالى ووحدانيته وتفردته بالخلق والقدرة هي لباب الإسلام وقاعدته الكبرى التي تفرع عنها كل فضائله وخصائصه .

ولا تكاد تخلو سورة قرآنية من آيات تتحدث عن تفرد الإسلام بالقول بالوحدانية المطلقة للحق سبحانه ، لأننا سنرى بعد قليل أن وحدانية الله هي ضمان الأمن والسلام والسلامة للبشر . ولو أن البشر اجتمعوا على الوحدانية ولم تتفرق بهم السبل لما كانت هناك حروب أو فتن أو مجاعات ، لأن الوحدانية الإلهية هي العروة الوثقى التي لا انفصام لها ، ولو آمنوا جميعاً وأدركنا معناها ومغزاها لكنا اليوم في دنيا غير دنيا الشقاء والمتاعب والشور التي نحياها . ومن أجل ما يقرأ الإنسان في هذا المعنى وأحفظه بالحكمة قول الله جل جلاله في سورة الزمر :

﴿ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ
جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى
عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾

[الزمر ٣٩/٦٦ - ٦٧]

وهي آيات لم يحسن السلف تفسيرها ، لأنهم قصرُوا نظرهم على يوم القيامة وما يسبقه وما يكون فيه ، كأن سلطان الله على الدنيا بما فيها من أرض وسماوات مقصور على يوم الساعة ، والحق أن الأرض جميعاً في قبضة الله من يوم خلق هذا الكون وكذلك السماوات بيمينه أولاً وأبداً ، وقد غاب عنهم كذلك الإعجاز البلاغى في تصوير قدرة الله في هذه الآيات ، وشغلوا أنفسهم برواية أحاديث في نزول هذه الآيات هي أو هي من نسيج العنكبوت ، وما حملهم على ذلك إلا ولعهم بالماضى ونظرهم إليه وضيق الآفاق التي كانوا ينظرون إليها ، فكان الماضى هو عالمهم الذى عاشوا فيه ، والعلم عندهم كان رواية ما قاله البزار والطبرانى وعبد الرزاق والحاكم ومن إليهم من أقطاب العلم السابقين عليهم مع إجلالنا للسابقين من علماء هذه الأمة فإننا نقول : إننا اليوم نعيش في عالم اتسعت فيه آفاق العلم واتسعت معها آفاق النظر والتفأول بالمستقبل ، وما مضى من العلم هو أقله ، أما معظمه فهو في الحاضر والمستقبل ، وهذه بعض دوافعى إلى كتابة هذه المقالات ، فأنا أنظر إلى كل شىء حولى بعين الحاضر وأمل المستقبل ، وهكذا أحب أن ينظر الشباب ليكون لهم مستقبل أزهى مما نحن فيه وأريد أيضاً أن أربط تفكيرهم بالإيمان بالإسلام والقرآن وسيرة المصطفى صلوات الله عليه ، وتحضرنى بهذه المناسبة عبارة جميلة قرأتها لواحد من كبار أهل اللاهوت في عصرنا موجهةً للحديث للشباب : « إن الله يا أبنائى ينظر إليكم ويشملكم برحمته ويرعاكم في طريقكم إلى عالم أسعد ، أما نحن فحسبنا ما أكرمنا الله به من رعايته وأفضاله ، فأنتم الغد ونحن الأمس ، أنتم يشرق عليكم نور النهار ونحن نخفى شيئاً فشيئاً في ليل التاريخ » .

وقد اخترت الآيات التي قدمت بعضها للحديث عن الوحدةانية ، لأنها تتحدث عن الله وصفاته ، وهو موضوع شغل الماضين من أهل الفكر عندنا وأدخلهم في مناهات ومتاعب وأزمات ما كان أغناهم عنها لو أنهم نظروا في

القرآن بالقلب والعين جميعاً واستمعوا إلى صوت العقل والقلب معاً : وهذه الآيات المباركات من سورة الحشر تقول :

﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ . هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ . هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ، يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ .

[سورة الحشر / ٥٩ - ٢٢ - ٢٤]

وهذه الآيات التي تروع النفس ببلاغتها وحسن مساقها تجمع بين وحدانية الله سبحانه وتعالى وجانب من صفاته التي يتفرد بها جل جلاله .

وأحب أن أقف عند بعض هذه الصفات الإلهية لأستلفت نظر القارئ إلى ما يتفرد به الله في عقيدة الإسلام .

فالله هنا قدوس لا مقدس كما يوصف في الأديان الأخرى ، لأن صفة القداسة الإلهية النابعة منه سبحانه ، ولو قلنا مقدس فمعنى ذلك أن أحدا أعطاه صفة القداسة وتعالى الله سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً .

والإسلام أقل الأديان استخداماً لصفة القداسة ، لأنها عندنا مما يتفرد به الله دون سواه حتى القرآن - وهو كلام الله - فنحن لا نصفه بالقداسة فنقول القرآن المقدس بل نقول الكريم والمجيد ، والحرم المكي لا يوصف عندنا بالحرم المقدس لأن الله سبحانه خلق عليه القداسة فهو قدس بذاته ، واستعمال مصطلح الأراضى المقدسة حديث ، ولا أذكر أن القدامى استعملوه عندنا ، وفي سورة البقرة تقول الملائكة مخاطبة رب العزة : ﴿ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ [٢ / ٣٠] ولم تقل ونحن نقديسك ، لأن الله أجل من أن يخلع عليه أحد من

خلقه صفة من صفاته ، وفي المعجم الوسيط تقرأ : قدس الرجل : زار بيت المقدس ، وقدس قدساً أى طهر أو طَهَّرَ ، وقدس لله تقديساً : طهر نفسه له وصلى له وعظمه وكبره ، وقدس فلان الله : نزهه عما لا يليق بالألوهية ، وقدس الله فلاناً طهره ، وتقدس تطهر ، وتقدس لله ونزهه فهو متقدس ، والقداسة الطهر والبركة (محدثة) والقدوس وروح القدس جبريل أى روح الطهر (إلى هنا ينتهى كلام المعجم) وقد ورد روح القدس بمعنى جبريل ثلاث مرات متصلاً بعيسى ابن مريم عليه السلام ومرة واحدة بهذا المعنى فى القرآن فى الآية ١٠٢ من سورة النحل ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ .

وبمناسبة كلامنا على الآيات التى جعلتها موضوع الحديث عن وحدانية الله أقول كلمة أنبه بها إخوانى المسلمين إلى مدخل من مداخل الأذى والتعصب يستعمله الكثيرون من أعداء الحق والإسلام ، فقد قرأت فى تفسير ابن كثير فى كلامه عن لفظ الجلالة سبحانه : الله اسم على الرب تبارك وتعالى يقول إنه الاسم الأعظم لأنه يوصف بجميع الصفات (ثم يورد الآيات التى نحن بصددھا) ثم يقول : فأجرى الأسماء الباقية كلها صفات له (ابن كثير : التفسير ج ١ ص ٣٥ فى تفسير الفاتحة) وهذا كلام طيب مقبول . ولكننا نقرأ فى قاموس لاروس 'Islam Allah : dieux unigue del' .

فكأنهم يستعملون لفظ الجلالة على أنه اسم على علم إله المسلمين خاصة وهذا يخالف مانحن عليه من أنه إله العالمين ، وعندما نقرأ ماورد فى دائرة المعارف الإسلامية بطبيعتها نجدهم يقولون كلاماً كثيراً لا يليق ولا أجيـز لنفسى هنا أن أنقله ، وأسوأ من هذا ما تجده عند كبار بعض المستشرقين فى أمثال جودفروا ديموبيني Yavde Brog Demomlignes وهو من كبار المستشرقين وأعتاهم ، وقد أبى هذا الرجل إلا أن يختم حياته بأسوأ ماتحتم به حياة ، فقد ألف كتاباً عن

رسول الله ﷺ لم يدع شيئاً مما امتلأت به نفسه من كراهة الإسلام ونبية إلا قاله ،
والكتاب قسان :

الأول : سيرة لرسول الله ساقها على هواه .

والثاني : زعم أنه يعرض فيه أفكار الرسول ونظراته إلى الكون والوجود ،
وفيه فصل خبيث عن الحق جل جلاله ، زعم أن رسول الله ﷺ اخترع صورة الله
سبحانه وتعالى وصاغها كما تصوره ، وهو يتحدث عن الحق كأنه يتحدث عن
بوذا مثلاً ، تعالى الله سبحانه عما يشركون . وهذا يدعوني إلى أن أرجو إخواني
المسلمين الذين يكتبون عن الإسلام في لغة غير العربية ألا يقولوا مثلاً Allah
Segs أو Allahbit أو Allah Sogt وأرجوهم أن يقولوا بدلاً من ذلك God Sags أو
Dievx dit أو Gott Sogt وذلك حتى يستقر في عقول من يقرءون لهم المعنى
الحقيقي للفظ الجلالة في الإسلام .

وفي تلك الآيات اثنا عشر اسماً من أسماء الله الحسنى سأورد معانيها هنا كما
أوردها ابن كثير حتى تستقر هذه المعاني في النفوس كما يراها أهل السنة
والجماعة :

الرحمن الرحيم : المراد أنه ذو الرحمة الواسعة الشاملة لجميع المخلوقات
فهو رحمن الدنيا ورحيمها ، وقد قال تعالى : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ
شَيْءٍ ﴾ [الأعراف / ٧ / ١٥٦] وقال : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾
[الأنعام / ٦ / ٥٤] وعندما فسر ابن كثير البسمة قال في معنى الرحمن الرحيم
كلاماً جميلاً جداً يتجلى فيه أن الإسلام حقاً دين الرحمة قال : الرحمن الرحيم
اسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة ، ورحمن أشد مبالغة في رحيم . . وفي
تفسير بعض السلف ما يدل على ذلك ، كما تقدم في الأثر عن عيسى عليه
السلام أنه قال : والرحمن رحمن الدنيا والآخرة والرحيم رحيم الآخرة . ونقل عن
ابن جرير الطبري قوله في تفسيره : الرحمن لجميع الخلق والرحيم للمؤمنين ولهذا

قال : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ فذكر الاستواء باسمه الرحمن ليعم جميع خلقه برحمته ، وقال : ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ فخصهم باسمه الرحيم . قالوا : فدل على أن الرحمن أشد مبالغة لعمومها في الدارين لجميع خلقه ، والرحيم خاصة بالمؤمنين ، ولكن جاء في الدعاء المشهور : رحمن الدنيا والآخرة ورحيمها أ. هـ وفي كلام الطبري في تفسيره لمعنى الرحمن كلام كثير يختلط معه المعنى ويلتوى ، وقد أشار إلى ذلك محمود شكرى الألوسى في تفسيره الجامع المسمى روح المعانى .

ونعود إلى تفسير ابن كثير لنستكمل منه كلامه عما ورد في الآيات في أسماء الله الحسنى :

وقال - يريد الحق سبحانه - هو الله الذى لا إله إلا هو الملك : أى المالك لجميع الأشياء ، المتصرف فيها بلا ممانعة أو مدافعة .

وقوله « القدوس » قال وهب بن منبه : أى الطاهر . وقال مجاهد وقتادة : أى المبارك . وقال ابن جريج : تقدمه الملائكة الكرام .

« السلام » أى السالم من جميع العيوب والنقائص بكمالها فى ذاته وصفاته وأفعاله ، فكان ابن كثير يفسر السلام هنا بمعنى السلامة ، وربما كان هذا جائزاً ، ولكن الأشبه بالله سبحانه أن يكون المراد هنا هو الأمن والأمان ، أى الذى يملأ القلوب أمناً وسلاماً ، ويظل هذا الكون كله بأمنه وسلامه ، والدعاء المشهور اللهم أنت السلام ومنك السلام وبيك السلام ، ومن آيات الله سبحانه الجارية على كل لسان ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد ٢٨/٣] .

وقوله : « المؤمن » قال الضحاك عن ابن عباس . أمن خلقه من أن يظلمهم . وقال قتادة : أمن بقوله : إنه حق . وقال ابن زيد : صدق عبادة المؤمنين فى إيمانهم به . وهذا كلام ابن كثير وغيره من فقهاء السلف .

وقوله : « المهيمن » : قال ابن عباس وغير واحد : أى الشاهد على خلقه

بأعمالهم ، بمعنى هو رقيب عليهم ، كقوله : ﴿ **وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** ﴾ [البروج ٨٥ / ٩] وقوله ﴿ **ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ** ﴾ [٤٦ / ١٠] . وأرى أن المعجم الوسيط هنا أدق من ابن كثير . فقد قال هيمن فلان : قال أمين ، وهيمن على كذا : سيطر عليه وراقبه وحفظه ، وهيمن الطائر على فراخه : رفر ، والمهيمن من أسماء الله تعالى بمعنى الرقيب المسيطر على كل شيء . الحافظ له ، وفي التنزيل العزيز ﴿ **مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ** ﴾ . وتام الآية ليكتمل فهم القارىء لها : ﴿ **وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ** ﴾ [المائدة ٥ / ٤٨] .

وقوله «العزیز» أى الذى عز كل شىء فقهره ، وطلب الأشياء فلا ينال جنباه لعزته وعظمته وجبروته وكبريائه ، ولهذا قال : الجبار المتكبر ، أى الذى لا تليق الجبرية إلا له ، ولا التكبر إلا لعظمته كما تقدم فى الصحيح «العظمة إزارى والكبرياء ردائى فمن نازعى واحداً منهما غلبته» . وقد علق على ذلك ناشر طبعة دار الشعب من تفسير ابن كثير بأن هذا الحديث وارد فى كتاب اللباس من سنن أبى داود ، باب ماجاء فى الكبر . وسنن ابن ماجه : كتاب الزهد . باب البراءة من الكبر والتواضع الحديث ٤١٧٤ : ٢ / ١٢٩٧ ومسند أحمد بن حنبل عن أبى هريرة ٣٧٩ / ٢ و ٤١٤ و ٤٢٧ و ٤٤٢ . ولنا فى الاستشهاد بأمثال هذه الأحاديث نظر .

فإننا إذا تأملنا ماسلف وما سيجىء من صفات الله فى القرآن وجدناها كلها تعود بالخير على البشر ، كما رأينا فى الرحمن الرحيم والسلام والمؤمن والمهيمن ، وهذا التفسير العزيز تفسیر يخرج عن هذه القاعدة ويجعل الله سبحانه يتعالى على الناس بعزته وكبريائه ، ولا حاجة بالله إلى شىء من ذلك ، فليس من الضرورى أن يخاف الإنسان من الله لكى يؤمن به ، بل لابد أن يكون الإيمان بالله نابعاً من محبته ، حتى الخوف من الله ليس فى الحقيقة خوف منه ، بل خوف من العقاب

في حالة الخطأ المقصود والعصيان الجاحد . وقد آن الأوان لأن نتخلى عن هذه النظرة التى أولع بها نفر من الفقهاء القدامى ، وخير لنا ألف مرة أن نقول إنه سبحانه العزيز أى رمز العزة ، فهو يريدنا أن نكون من أهل العزة ، وما نقول هذا من عندنا . ولكننا ننظر إلى قول الله تعالى في سورة المنافقين :

﴿ يَقُولُونَ لِنَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرَابُ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [المنافقون ٦٣ / ٨] .

فهنا ، وفي أثناء غزوة المريسيع الحافلة بالأحداث والعظات ، نرى أن المنافقين من أهل المدينة يسعون فى الفساد بين المؤمنين ، ويحسبون أنهم أعز من المؤمنين لأن المدينة بلدهم ، فذكر الله المؤمنين بأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، فهنا يرتفع المؤمن بإيمانه ويكون له نصيب من عزة الله سبحانه ، وتؤكد الآيات أن المنافقين لا يعرفون هذه العزة لأنهم لا يؤمنون .

ويؤكد هذا المعنى قوله جل جلاله فى سورة فاطر : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ [فاطر ١٠ / ٣٥] فهنا ترى كيف أن العزة لله كلها ، ولكنه يشرك فيها من عباده أصحاب الكلم الطيب والعمل الصالح .

وغياب هذه المعانى الجميلة عن أهل العصور الإسلامية المتأخرة ، هو الذى هبط بهم وأذلهم ومكن من رقايم العبيد والمماليك ، ولو أخذت أهل هذه العصور العزة بإيمانهم لما رضوا بأن يتحكم فيهم ويذلهم رجال مثل كافور وبكتيمر وبلبيغا وأمثالهم .

بل لقد آن أن نغير هذه النظرة وما يتصل بها من تطامن إلى الأرض وتهافت الهمم ، لأن الإيمان بالله عزة والإيمان بالوطن عزة والإيمان بالعمل الصالح عزة لأنه يرفع مقام الإنسان ويجعل له نصيباً من عزة الله وهى عزة مابعداها عزة . . . ومن أمثلة هذه النظرة القديمة قول قتادة فى كلام ابن كثير الذى نتابعه هنا

الجبار الذى جبر على مايشاء . وأفضل من هذا قول ابن جرير الطبرى : الجبار المصلح أمور خلقه المتصرف فيهم بما فيه صلاحهم (التفسير ٢٨ / ٣٦) وكبرياء الله سبحانه شبيهة بعزته ، وهو عندما يصف نفسه بالمتكبر يريد أن نرى فيه رمز العزة والترفع عن الدنيا والاعتزاز بالايمان والفضائل . . .

ثم يقول ابن كثير : وقوله ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمَصَوِّرُ ﴾ الخلق : التقدير ، هو الخلق براءً وبروءاً . برأ الله الخلق : خلقهم فهو بارئ (المعجم الوسيط) . .

والمصور : أى الذى ينفذ مايريد على الثقة التى يريد بها ، وهنا أيضاً نرى ابن كثير يضيف إلى المعنى لمحة لا لزوم لها ، وكان أولى به أن ينظر إلى قول الله سبحانه فى سورة الانقطار :

﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا عَرَّبَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الانقطار ٨٢ / ٦ - ٨] .
فهنا نجد أن معنى جميلاً لوصف الله سبحانه لنفسه بالمصور .

والمسلمون يصنفون أنفسهم بأنهم أهل التوحيد وهم بالفعل أهل توحيد الله وسنرى بعد قليل حكمة الله فى الأمر بتوحيده المطلق الذى لا تشوبه شائبة من شرك أو نسبة الولد إليه ، والمعتزلة سموا أنفسهم أهل العدل والتوحيد وهم الذين جعلوا التوحيد علماً ، وفى أثناء النزاع بين المعتزلة وخصومهم من أهل السنة والجماعة ظهر علم التوحيد على مذهب أهل السنة والجماعة ، وتطور مع الزمن ، ولكننا إذا نظرنا إلى كلامهم فى هذا العلم وجدنا فيه غموضاً وتكلفاً لا معنى له حتى رجل استنار ذهنه بما عرف من العلم الحديث واشتهر بما ميزه الله به من الذكاء وحسن الفهم نقرأ رسالة التوحيد التى وضعها كما قال للتلامذة نقرؤه فلا نفهم منه لماذا أراد الله من عباده أن يوحده التوحيد الكامل ؟ مع أن الله سبحانه ليس فى حاجة إلى شىء من أحد ، فلا بد أن يكون هذا التوحيد راجعاً علينا نحن

بالخير ، وهذا هو الحق ، لأن الله سبحانه يريد أن نلتف حوله لأنه المثل الأعلى في كل شيء ، وما أوقع أهل الأديان في البلاء والشقاء قبل الإسلام إلا الاختلاف في الله سبحانه وطبيعته واختلافهم في طبيعة عيسى ابن مريم عليه السلام ، وهل هو إنسان أم إله ، وهل له طبيعة أم طبيعتان ؟ وما نسبة الطبيعة للبشرية إلى الإلهية فيه ؟ مع إيمانهم جميعاً بأنه سبحانه الخالق البارئ المصور ، فما حاجته بعد ذلك إلى أن يشركه أحد في خلقه أو يتفق مع جلال الخالق أن تكون له علاقة أبوة أو قرابة مع أحد ؟ .

والحق أن الإسلام بتوحيده المطلق قد أخرج البشر من بلاء عظيم ، وأراد لهم أن يجتمعوا على كلمة سواء ويعتصموا بحبل الله جميعاً ولا يتفرقوا ولتنظر في قول الله سبحانه .

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران ٣ - ٦٤] .

وهل كان عسيراً على أهل الكتاب أن يستجيبوا لدعوة الله الكريمة لينجوا بأنفسهم من بلاء الخلاف في الله ؟ وصدق الإمام محمد عبده عندما قال في رسالة التوحيد : والذي علينا اعتقاده أن الدين الإسلامي دين توحيد في العقائد لا دين بتفريق في القواعد ، العقل من أشد أعوانه والنقل من أقوى أركانه وما وراء ذلك فترعات شياطين أو شهوات سلاطين ، والقرآن شاهد على كلِّ بعمله قاض عليه في صوابه وخطئه (ص ١٨) . .

ولكننا اختلفنا فضللنا وجاء وقت على المسلمين اختلفوا في أسماء الله وصفاته وساورتهم نزعات الشياطين وشهوات السلاطين فكان مانرى مما جرى عليهم من بلاء .

وما كان بحاجة إلى خلاف فإن القرآن أوضح من الشمس في هذا

الخصوص فهو سبحانه الخالق الحق وهو وحده مصدر كل شيء وضمان كل خير وكل صفة حسنة للإنسان فإن مصدرها الله ، فالفضائل لنا صفات ولكنها في الله أسماء ، فالإنسان يمكن أن يكون كريماً ولكن الكريم هو الله والإنسان يمكن أن يكون رحيماً ولكن الرحيم هو الله ، أو قوياً ولكن القوى هو الله ، وخير ما نختتم به هذا الفصل عن التوحيد وفضائله على البشر هو قوله سبحانه :

﴿ وَتِلْكَ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ . [الأعراف / ٧ / ١٨٠] .

